الكتابة العربية ودورها فى الحضارة الإسلامية

محسن معز
(أستاذ اللغة العربية بجامعة الإسلامية الحكومية مدورا،
ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها بكلية دار العلوم باينوأنيار لعلوم اللغة)

ملخص البحث

إن الأمر بالكتابة العربية فى الإسلام أقدم من الأمر بالصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها من العبادات. وإنما هي من الأمور التى أطلعها الله على الإنسان فى أول بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا يدل على أن الكتابة العربية لها دور مهم فى الحضارة الإسلامية. وهي تأتي نحو طائرة تحمل الناس من أي قطر إلى أي قطر أو من أي بلد إلى أي بلد، حيث أنهم لا يصلون الى مقصدهم إلا بها ولا يتوافرون حوائجهم إلا بها. فالحضارة الإسلامية لن تصل الى أي مكان من أمكنة الناس فى العالم كافة إلا بوسيلة الكتابة العربية. بل قيل، من أجل دورها المهم والعظيم خاصة فى نشر شريعة الإسلام كان النبي صلى الله عليه وسلم فى آخر أمره قادرا على الكتابة.

الكلمات المفتاحية: الكتابة العربية، دور، الحضارة الإسلامية

أ. المقدمة

إن الكتابة—عربية كانت أم غيرها—لها ارتباط وثيق باللغة. ان كانت اللغة طبيعتها هي صورة صوتية منطوقة مسموعة حيث أنها تسمع بالأذن، فالكتابة هي محاولة للتعبير عن اللغة فى واقعها الصوتي أو محاولة لنقل ظاهرة صوتية سمعية الى ظاهرة كتابية مرئية وهي ترى بالعين. ومن الطبيعي، قد تكون هذه المحاولة دقيقة بل أشد دقيقة ووضيحة من اللغة وقد تكون غير دقيقة. وذلك باعتبار ملكة الكاتب وقدرتها فى تعبير تحريري، إن حسنت الملكة دقت الكتابة وإلا فلا.

فلا مناص من الكتابة أنها تلعب لعبا مثمرا فى الحياة الإنسانية، لأنها منذ نشأتها تصبح وسيلة من وسائل الاتصالات بين الناس دون اللغة، لا سيما فى هذا العصر المعروف بعصر الرقمنة حيث كأنهم غير قادرين على اجتناب وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي مثل: البريد الالكتروني وفيس بوك وواتس أب وتويتر وانستغرام وغيرها من الوسائل التى تزدهر فى هذا العصر. هم يتواصلون ويتحدثون بها ويعبرون أفكارهم وحوائجهم وأغراضهم بها يكتبون رسالة –قصيرة كانت أم طويلة—مرسلة فى البريد الالكتروني أو واتس أب أو حالة منشورة فى حائط أو مقالة وغيرها من أنواع الكتابة مشاركة فى مجموعة بل مرسومة فى ملاحظة حتى تصبح—مثلا—تحفة رائعة مطبوعة فى المطبع.

وكيف عن الكتابة العربية؟ أكان شأنها نحو شأن الكتابات الأخرى؟ طبعا، كان لها دور مهم وعظيم إلا أنها أهم من المهم لأن منزلتها مثل منزلة اللغة العربية التى ترتبط ارتباطا قويا بدين الإسلام. فالكتابة العربية نحوها حيث كانت لها علاقة وثيقة بدين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. كانت شريعة الله تعالى لاتنتشر فى كل أنحاء العالم كافة إلا بنشر كتابة مصحف القرآن الكريم والحديث الشريف التى هي بالعربية حتى تجتذب الناس درسها ومعرفة معناها وتفسيرها وتحليلها. وكذلك الكتب الإسلامية التى تبحث عن علم العقيدة والشريعة والأخلاق والتصوف واللغة والآداب وغيرها من الكتب المرسومة والمخطوطة بالعربية.

وفى عصر الرقمنة، ما أكرم شأن امرء يكتب رسالة أو مقالة أو غيرها تتعلق بأمور دين الإسلام—بالعربية أو بغيرها—ثم ينشرها ويشاركها فى واتس أب أو فى حائط وملاحظة فيس بوك أو يجمعها إلى أن تصير تحفة رائعة مطبوعة فى المطبع. لأجل ذلك، فلا شك فى الكتابة العربية أن لها مكانا عظيما فى الحياة الإنسانية عامة وفى الحياة الإسلامية خاصة حتى تثير الباحث أن يشرح ويوضح عنها تحت العنوان: "*الكتابة العربية ودورها فى الثقافة الإسلامية*. وسيحاول الباحث فيه الإجابة على مشكلات البحث بسؤالين أساسيين وهما: (١) ما حدود الكتابة العربية ونشأتها؟ (٢)

كيف دورها فى الحضارة الإسلامية؟ حتى يتولد منهما الهدف وهو الوصف والكشف عن دورها فى الحضارة الإسلامية، ويستفيد من ذلك الباحث أو القارئ بأن يكون له اهتمام بالغ واعتناء ضخيم بالكتابة العربية.

ب. البحث

لكل شيئ حد وتاريخ. فكل ما للإنسان وما عليه حد وتاريخ. اللغة—مثلا—التى هي من وسائل تواصله الإجتماعي لها حد وتاريخ. وحدها فى اللغة، أنها دارت مشتقاتها فى معاجم العربية حول القول والصوت والكلام والميل والنطق واللهجة والولوع بالشيئ غير أن الأصل فيها الدلالة على الصوت.[١] وقيل أنها غير عربية وإنما هي من الكلمة اليونانية (*Logos*) ومعناها كلمة وكلام ولغة. وقد دخلت هذه الكلمة اللغة العربية فى وقت مبكر.[٢] أما فى الإصطلاح—كما قال ابن جني—، أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.[٣] وأما تاريخها فقد نشأت اللغة منذ أن خلق الله عز وجل لسان أبي البشر نبينا آدم عليه السلام.[٤] بل قيل أنها أول علم الذي كان يتعلم نبينا آدم من خالقه رب العالمين. لقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم: "وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين"[٥] لقد فسر هذه الأيةَ ابنُ كثير، أن الله سبحانه وتعالى علم نبينا آدم عليه السلام أسماء الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها ثم ذكرها للملائكة ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم فى العلم.[٦]

واللغة العربية هي أصوات يعبر بها كل العرب عن أغراضهم وحوائجهم، أي أنها لغة التى تُنسب الى قوم الذين يتكلمون بها وهم الشعوب المتولدة من نسل سام بن نوح

---

[١] عبد المنعم عبد الله محمد، *فصول فى علم اللغة*، (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ٢٠٠٧)، ص. ٩.

[٢] نفس المرجع، ص. ١٠.

[٣] ابن جني، *الخصائص*، ج. ١، (بيروت: عالم الكتب، دون السنة)، ص. ٣٣.

[٤] مصطفى صادق الرافعي، *تاريخ آداب العرب*، ج. ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠) ص. ٤٧.

[٥] البقرة: ٣١.

[٦] ابن كثير، *تفسير القرآن الكريم*، (المكتبة الشاملة: دار الفكر، ١٩٩٤)، ص. ٣٤٧.

النبي عليه السلام،[٧] الذين يقيمون في بلاد العرب التى تنقسم—كما نقله لويس سيديو عن رأي بطليموس الفالوذي من أعلم القدماء بحقيقة بلاد العرب—إلى ثلاثة أقطار كبار وهي: الحجاز ونجد واليمن.[٨] ولها تاريخ عظيم فى حياة الإنسان بل إنها أقدم اللغات السامية نشأة وتاريخا، لأنها—كما قال بعض المؤرخين—من اللغة التى ينطق بها أول البشر آدم عليه السلام.[٩] ونحو ذلك الكتابة العربية التى ستُبحث فيما يلي:

١. حد الكتابة العربية ونشأتها وأنواعها

أ) حد الكتابة العربية

اعلم أن الكتابة العربية تتكون من كلمتين: "الكتابة" و"العربية". والكتابة فى اللغة هي مصدر على وزن فِعالة ومعناها الجمع؛ يقال: تكتبت القوم إذا اجتمعوا، ومنه قيل لجماعة الخيل: كتيبة، كما سمي خرز القربة كتابةً لضم بعض الخرز إلى بعض.[١٠] وهي نفس المعنى بالخط والتحرير والرقم والسطر والزبر.[١١] وقال ابن الأعرابي—كما نقله القلقشندي فى كتابه—، أن الكتابة قد تطلق على العلم، ومنه قوله تعالى: "أم عندهم الغيب فهم يكتبون".[١٢] يعلمون. وعلى حد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في كُتابه لأهل اليمن عندما بعث إليهم معاذا وغيره، "إني بعثت إليكم كاتبا". قال ابن الأثير في

---

[٧]كمال عبد الباقي لاشين وحسن عبد السلام، *دراسات فى الأدب الجاهلي*، (مقرر جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٥)، ص. ١٢.

[٨]لويس سيديو، *خلاصة تاريخ العرب*، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي، ٢٠١٧)، ص. ١٨.

[٩]إن البحث عن أول من تكلم باللغة العربية—كما ذكر فى ذلك الكتاب—بحث عسير فيه اختلاف كثير. يرى البعض، أن آدم عليه السلام أول ناطق بها، والبعض يرى أن يعرب بن قحطان أبو العرب العاربة أول ناطق بها، والبعض يرى أن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام أول ناطق بها.(انظر: كمال عبد الباقي لاشين وحسن عبد السلام، *دراسات فى الأدب الجاهلي*، ص. ١٢.)

[١٠]أحمد بن علي القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، (دمسق: دار الفكر ، ١٩٨٧)، ص. ٨١-

[١١]محمد طاهر بن عبد القادر، *تاريخ الخط العربي وآدابه*، (مصر: المطبعة التجارية الحديثة، ١٩٣٩)، ص. ٧.

[١٢]الطور: ٤١

غريب الحديث، أنه صلى الله عليه وسلم أراد بقوله، "كاتبا" عالما، سمي بذلك لأن الغالب على من كان يعلم الكتابة أن عنده علما ومعرفة وكان الكاتب عندهم قليلا وفيهم عزيزا.[١٣]

أما العربية هي نسبة إلى العرب وهي إلحاق ياء مشددة آخر الإسم مكسور ما قبلها للدلالة على نسبة شيئ إلى آخر. فكل لفظ مشتمل على هذه الياء فهو معها فى الوقت نفسه منسوب ومنسوب إليه بانضمامها له فهما معا شيئان محتفظان بالدلالة السابقة. وهي تفيد فى الدلالة على الوصف مع الإيجاز، ودلالتها متعددة منها: للدلالة على الدين والدلالة على المواطن والدلالة على الجنس والدلالة على صفة من الصفات وهلم جرا.[١٤] والتاء فى آخرها علامة التأنيث لأنها صفة من كلمة "الكتابة". والعرب نفسها إحدى القبائل السامية التى سكنت شبه الجزيرة العربية التى تقع بالطرف الغربي لقارة آسيا وتحد بما يأتى من الخليج الفارسي (الخليج العربي) شرقا والبحر الأحمر غربا والبحر الهندي جنوبا وبريف العراق وبادية الشام شمالا.[١٥]

أما فى الاصطلاح، لها تعريفات كثيرة. قال محمود فهمي حجازي، أن الكتابة في أحسن أحوالها هي محاولة لتعبير ونقل وترجمة ظاهرة صوتية سمعية إلى ظاهرة كتابية مرئية. وهذه المحاولة دقيقة أحيانًا وغير دقيقة في أكثر الأحيان.[١٦] وذكر محمد طاهر بن عبد القادر فى كتابه، أنها صناعة الإنشاء[١٧] التى يعتمد عليها كل قوم فى تعبير أغراضهم أو إخراج ما كان فى عقولهم بطريقة مميزة ووسيلة خاصة.

---

[١٣] القلقشندي، *صبح الأعشى*، ص. ٨١-٨٢.

[١٤] أيمن أمين عبد الغني، *الصرف الكافي*، (القاهرة: دار التوفيقية للتراث، ٢٠١٠)، ص. ٣٥١-٣٥٢.

[١٥] محمد حسن درويش، *تاريخ الأدب العربي*، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٤)، ص. ١٦-١٨.

[١٦] محمود فهمى حجازى، *علم اللغة العربية*، (المكتبة الشاملة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دون السنة)، ص. ١١.

[١٧] محمد طاهر بن عبد القادر، *تاريخ الخط*، ص. ٧.

وعلى حد ذلك، رأى ابن خلدون في مقدمته، أن الكتابة من عداد الصنائع الإنسانية، وهي رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهي ثاني رتبة من الدلالة اللغوية، وهي صناعة شريفة؛ إذ الكتابة من خواص الإنسان التي تميز بها عن الحيوان، وأيضًا فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلد البعيد، فتقضى الحاجات وقد دفعت مؤونة المباشرة لها، ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم؛ فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع، وخروجُها من الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم.[١٨]

ب) نشأة الكتابة العربية

إن الكلام عن تاريخ الكتابة العربية منذ نشأتها الأولى قد يكون مستحيلا، لأنها قد مضت على العصور المبهمة التى لا يعلمها إلا الله تعالى. فالبحث عنها تاما وقطعا قد يكون متعذرا. لذلك يجد الباحث أن أقوال المؤرخين فى نشأتها متضاربة فلا يمكن أن يحكم حكما صريحا يطمئن إليه في هذا الموضوع. بالرغم من ذلك، أن الباحث يرى من الواجب أن يعرض الأقوال والروايات الواردة فى ذلك ليقف القارئ الكريم عليها.

قيل إن أول من وضع الكتابات كلها آدم عليه السلام كتبها في طين وطبخه وذلك قبل موته بثلثمائة سنة فلما أظل الأرض الغرق أصاب كل قوم كتابهم. وقيل إنها أنزلت على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة.[١٩] وقضية هذه المقالة أنها توقيفية علمها الله تعالى بالوحي اعتمادا على قوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها"، حيث أنه اتفق العلماء على أن الأسماء كلها توقيفية من الله تعالى بمعنى أن الله تعالى خلق لآدم علما ضروريا بمعرفة الألفاظ والمعاني وإن هذه الألفاظ موضوعة لتلك المعاني. وفى الخبر—كما نقلهمحمد

[١٨] عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، *مقدمة تاريخ ابن خلدون*، (المكتبة الشاملة: موقع الوارق، دون السنة)، ص. ٢٣٦-٢٣٧.

[١٩] القلقشندي، *صبح الأعشى*، ج. ٣، ص. ٩.

طاهر بن عبد القادر فى كتابه—، "لما خلق الله آدم بث فيه أسرار الأحرف ولم يبث فى أحد من الملائكة فخرجت الأخرف على لسان آدم بفنون اللغات فجعلها الله صورا له ومثلت له بأنواع الأشكال". وفى الخبر أيضا، "علمه الله سبعمائة الف لغة فلما وقع فى أكل الشجرة سلب اللغات إلا العربية فلما اصطفاه للنبوة رد الله إليه جميع اللغات". فكان من معجزاته تكلمه بجميع اللغات المختلفة التى يتكلم بها أولاده إلى يوم القيامة من العربية والفارسية والرومية والسريانية واليونانية والعبرانية والزنجية وغيرها.[٢٠]

وقيل أن أول من وضعها بعد آدم ادريس عليهما السلام، كما جاء، "أول من خط بالقلم بعد آدم إدريس عليه السلام". وحكي عن ابن عباس أن أول من كتب بالعربية ووضعها اسمعاعيل بن إبراهيم عليهما السلام على لفظه ومنطقه ويقال أن الله تعالى أنطقه بالعربية المبينة وهو ابن أربع وعشرين سنة. وقيل أولاده هم نفيس ونضر وتيماء ودومة حيث أنهم وضعوها متصلة الحروف بعضها ببعض حتى الألف والراء ففرقها هميسع وقيدار من أولاده أيضا عليه السلام.[٢١]

وقيل أن أول من وضع الكتابة العربية ثلاثة من طيء من قبيلة بولان سكنت الأنبار وهم مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر جدرة،[٢٢] ثم علموها أهل الأنبار، فتعلمها بشر بن عبد الملك الكندي صاحب دومة الجندل وخرج إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، فعلم جماعة من أهل مكة، لذلك كثر من يكتب بمكة من قريش.[٢٣] وذكر محمد حسن درويس أن أول من نقل الكتابة العربية إلى مكة عبد الله بن جدعان ونقلها عنه أمية

[٢٠] محمد طاهر بن عبد القادر، *تاريخ الخط*، ص. ١٥-١٦.

[٢١] نفس المرجع، ص. ١٦-١٧.

[٢٢] نفس المرجع، ص. ١٨.

[٢٣] محمد عبد الرحمن طاهر وزكريا عبد المجيد، *الأدب فى عصري صدر الإسلام وبني أمية*، (مقرر جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٥)، ص. ٥٩-٦٠.

ابن عبد شمس فى الجاهلية.[٢٤] وذكر السيوطي نفرا كانوا يكتبون قبل الإسلام منهم: بشر بن عبد الملك وسفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأبو قيس بن عبد مناف وعمرو بن عمرو بن عدس.[٢٥]

أما فى عصر صدر الإسلام، كان النبي صلى الله عليه وسلم، صاحب هذا الدين يهتم بأمر الكتابة العربية اهتماما كبيرا. فأمر النبي أصحابه تعلمها ودرسها كما يرويه الترمذي بإسناد صحيح عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، "أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كتاب يهود، قال: إني والله ما آمن يهود على كتاب، قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم".[٢٦] بل كان أول عمل لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بدر تنشيط الكتابة. فقد جعل فداء الأسرى الذين يعرفون الكتابة أن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء الصحابة الكتابة وبذلك انتشر الكتابة. وممن كانوا يعرفون الكتابة العربية عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة وعبيدة ومعاوية،[٢٧] وأبو بكر الصديق وخالد بن سعيد بن العاص وأبي بن كعب الأنصاري وحنظلة بن الربيع الأسيدي ويزيد بن أبي سفيان وزيد بن ثابت الأنصاري من بني النجار، وكان زيد بن ثابت من ألزم الناس لذلك ثم تلاه معاوية بعد الفتح فكانا ملازمين الكتابة بين يديه صلى الله عليه وسلم فى الوحي وغير ذلك، لا عمل لهما غير ذلك.[٢٨]

بل قيل، أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه قادرا على الكتابة فى آخر أمره، وهذا كما شرحه محمد عبد العظيم الزرقاني، مدرس علوم القرآن وعلوم

---

[٢٤] محمد حسن درويش، *تاريخ الأدب*، ص. ٣٥.

[٢٥] محمد عبد الرحمن طاهر وزكريا عبد المجيد، *الأدب*، ص. ٦٠.

[٢٦] نفس المرجع، ص. ٦١.

[٢٧] محمد حسن درويش، *تاريخ الأدب*، ص. ٣٥.

[٢٨] محمد عبد الرحمن طاهر وزكريا عبد المجيد، *الأدب*، ص. ٦١-٦٢.

الحديث بتخصص الدعوة والإرشاد بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف فى كتابه فيما نص:

"حتى لقد قيل إن النبي عرف القراءة والكتابة في آخر أمره بعد أن قامت حجته وعلت كلمته وعجز العرب في مقام التحدي عن أن يأتوا بسورة من مثل القرآن الذي جاء به وكأن الحكمة في ذلك هي الإشارة إلى شرف الخط والكتابة وأن أمية الرسول في أول أمره إنما كانت حالا وقتية اقتضاها إقامة الدليل والإعجاز واضحا على صدق محمد في نبوته ورسالته وأنه مبعوث الحق إلى خليقته ولو كان وقتئذ كاتبا قارئا وهم أميون لراجت شبهتهم في أن ما جاء به نتيجة اطلاع ودرس وأثر نظر في الكتب وبحث.

وفي هذا المعنى يقول سبحانه "وما كنت تتلوا من قبله من كتب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون. بل هو أيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بأيتنا إلا الظلمون."[٢٩] قال العلامة الألوسي بعد تفسيره لهذه الآية ما نصه واختلف في أنه أكان بعد النبوة يقرأ ويكتب أم لا فقيل إنه عليه الصلاة و السلام لم يكن يحسن الكتابة واختاره البغوي في التهذيب وقال إنه الأصح. وادعى بعضهم أنه صار يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها وعدم معرفتها بسبب المعجزة لهذه الآية فلما نزل القرآن واشتهر الإسلام وظهر أمر الارتياب تعرف الكتابة حينئذ. وروى ابن أبي شيبة وغيره ما مات حتى كتب وقرأ ونقل هذا للشعبي فصدقه وقال سمعت أقواما يقولونه وليس في الآية ما ينافيه. وروى ابن ماجه عن أنس قال قال رأيت ليلة أسري بي مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر.

ثم قال ويشهد للكتابة أحاديث في صحيح البخاري وغيره كما ورد في صلح الحديبية فأخذ رسول الله الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الحديث. وممن ذهب إلى ذلك أبو ذر عبد بن

[٢٩] العنكبوت: ٤٨-٤٩.

أحمد الهروي وأبو الفتح النيسابوري وأبو الوليد الباجي من المغاربة وحكاه عن السمناني وصنف فيه كتابا وسبقه إليه ابن منية ولما قال أبو الوليد ذلك طعن فيه ورمي بالزندقة وسب على المنابر ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على مدعاه وكتب به إلى علماء الأطراف فأجابوا بما يوافقه ومعرفة الكتاب بعد أميته لا تنافي المعجزة بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم..."[٣٠]

تلك هي تاريخ نشأة الكتابة العربية من أول أمرها حتى تصل إلى عصر صدر الإسلام. وبعد مرور الزمان كانت الكتابة العربية لا ينتهي انتشارها فى بلاد العرب وإنما هي أخذت تنتشر إلى أنحاء العالم، من قارة أمريكا وأروبا وآسيا مثل بلدنا إندونيسيا. لقد كتب سفريندي أ رسمان الدين مقالة تبحث عن انتشار الكتابة العربية فى إندونيسيا حيث أنه ذكر أن مجيئ الإسلام فيه يؤثر على انتشارها، وذلك يقع فى القرن الثالث عشر تقريبا.[٣١] رغم ذلك، كان الكتابة العربية فى إندونيسيا شكلها يختلف قليلا بالكتابة العربية فى بلاد العرب. وذلك بسبب تأثرها بالكتابة الفارسية. لذلك، كانت الكتابة العربية المستعملة فى ماليو (إندونيسيا) تعرف بكتابة جاوي أو ما تسمى بكتابة عرب بيجون (*Arab Pegon*).[٣٢]

ج) نشأة تشكيل وإعجام الكتابة العربية

إن الكتابة العربية فى أول نشأتها—بل فى عصر صدر الإسلام—لم تكن فيها نقطة ولا شكل. بالرغم من ذلك، كان العرب يقدرون على قرائتها، لأنها من لغتهم الأولى أو ما يسمى فى علم اللغة الإجتماعي بلغة الأم.

---

[٣٠] محمد عبد العظيم الزرقاني، *مناهل العرفان فى علوم القرآن*، ج. ١.، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦) ص. ٣٦٤-٣٦٥.

[31] Ubaid Ridlo, Bahasa Arab dalam Pusaran Arus Globalisasi, 2 *"Ihaya al-'rabiyah"*, (Juli-Desember 2015), hal. 210.

[32] Safriandi A. Rosmanuddin, *Sejarah Singkat Asal Mula Tulisan*, (http://portalsatu.com/read/budaya/sejarah-singkat-asal-mula-tulisan-9341), diakses pada: 04-01-2019.

وقال حفني بك ناصف—كما نقله محمد طاهر بن عبد القادر فى كتابه تاريخ الخط العربي وآدابه—فيما نص:

"لما انتشر الإسلام فى إيقاع الأرض واختلط العرب بالعجم بدأ اللحن يظهر فى ألفاظهم فخشي العرب أن تفسد السنتهم وتضعف لغتهم ويتطرق الخطأ إلى القرآن الكريم وحصلت عدة حوادث الزمتهم إلى التفكير لصيانة القرآن الكريم ولغتهم، فكان أول من وضع الشكل والنحو أبو الأسود الدؤلي من كبار التابعين المتوفى سنة ٦٧، قيل إنه مات فى الطاعون الجارف وقيل قبله وذلك فى خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه. وسببه أن ابنته نظرت إلى السماء فى ليلة شديدة الصحو وقالت: ما أحسنُ السماءِ (بضم النون-؟) فقال: نجومها، قالت: أردت التعجب، فقال كان عليك أن تقولي ما أحسنَ السماءَ (بفتح النون-!) وتفتحي فاك. فلما أصبح ذكر ذلك لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فعلمه أبوابا من النحو منها باب إن وباب الإضافة وباب الامالة وقال له أنح هذا النحو يا أبا الأسود. فاشتعل أبو الأسود بوضع أبواب أخرى فى النحو منها باب العطف وباب التعجب وباب الاستفهام. واشتهر بعد ذلك أبو الأسود بعلم العربية."[٣٣]

ولم يكن شكل الكتابة العربية وضبطها وقتئذ، تاما كما رأينا اليوم. كان أبو الأسود الدؤلي فى ذلك الوقت يضع نقطة فوق الحرف إن كان مفتوحا وأسفله إن كان مكسورا وبين يديه إن كان مضموما ونقطتين إن كانت الحركة غنة ودون علامة أو نقطة إن كان سكونا. وهذا مثال من شكل أبي الأسود رضي الله تعالى عنه: سلام.. قولا من رب رحيم.[٣٤] وما زال هذا الشكل يتغير على يد أتباعه حتي يتم على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، حيث أنه وضع شكلا آخر للكتابة العربية الذي كان أساسا للشكل الحالي الذي جرى عليه

[٣٣] محمد طاهر بن عبد القادر، *تاريخ الخط*، ص. ٧٥-٧٦.

[٣٤] نفس المرجع، ص. ٧٧.

المتأخرون اليوم.[٣٥] وكان الشكل الذي وضعه الخليل حينئذ يجري على ثماني علامات: الفتحة والضمة والكسرة والسكون واشدة والمدة والصلة والهمزة هكذا: (– – – – – – – –) وكلها حروف صغيرة أو أبعاض حروف بينها وبين مدلولاتها مناسبة ظاهرة. واستعمل الخليل بن أحمد الفراهيدي هذه الطريقة فى كتب اللغة والأدب دون القرآن حرصا على كرامة أبي الأسود وأتباعه واتقاء لتهمة البدعة فى الدين. وأجاز أتباعه فى الضمتين أن تكتبا على الأصل هكذا ( ) أو ترد الثانية على الأولى هكذا (––) وأن توضع كسرة الحرف المشدد تحت الشدة فوق الحرف هكذا ( ) تبقى تحت الحرف مع وجود الشدة فوقه هكذا (––)، وفى الهمزة المكسورة أن توضع مع كسرتها تحت الألف هكذا (إِ) أو توضع الهمزة من فوق والكسرة من تحت هكذا (أِ).[٣٦]

أما إعجام الكتابة العربية وهو تمييز ما يشتبه من الحروف بعضها عن بعض بوضع النقط عليها لأمن اللبس،[٣٧] قال الأستاذ حفنى بك ناصف فى كتابه تاريخ الأدب—كما نقله محمد طاهر بن عبد القادر فى كتابه تاريخ الخط العربي وآدابه—أنه قد اشتهر اختراعه فى زمن عبد الملك بن مروان، بالرغم من أن هناك من يرى أن اختراع إعجام الكتابة العربية يوجد قبل الإسلام. والحق—كما قيل—أن الإعجام موضوع قبل الإسلام لكن تساهل الكتاب فى أمره شيئا فشيئا حتى تنوسى ولم يبق منه الإ النادر، إلى أن جاء زمن عبد الملك فحتم على كتاب دولته رعايته. وكان هذا الأمر من دعوة ناصر بن عاصم الليثي ويحي بن يعمر العدواني كلاهما من تلميذ أبي الأسود الدؤالي، رغم أول أمره تكره عامة المسلمين على ذلك.[٣٨]

---

[٣٥]عبد الحميد حكيم، *السلم*، ج.٢.، (جاكرتا: مكتبة السعدية فترا، ٢٠٠٧)، ص. ٥٤.

[٣٦]محمد طاهر بن عبد القادر، *تاريخ الخط*، ص. ٨٢–٨٣.

[٣٧]نفس المرجع، ص. ٨٣

[٣٨]نفس المرجع، ص. ٨٤.

د) أنواع الكتابة العربية

وبعد ظهور شكل الكتابة العربية لدى العرب وأخذوا يعرفون فنونا من العلوم والمعارف كانت الكتابة العربية تزدهر وتتنوع إلى أنواع كثيرة. ومن أنواعها—من جهة قواعد كتابتها: (١) الكتابة العثمانية وهي التى تعتمد كتابتها على المصحف العثماني، أي أنها اختارها الصحابة الكرام لكلمات القرآن عندما أمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بكتابة المصحف. وجدير بالذكر أن هذه الكتابة قد تخالف فى قليل أو كثير الأشكال التى اصطلح عليها علماء اللغة فى رسم الحروف وكلماتها، لكن الصحابة ثم التابعين درجوا على اعتمادها فيما يكتبون إجلالا منهم لهذا الرسم.[٣٩] بل قيل، إن رسم المصحف سنة متبعة مقصورة عليه ولايجوز فيه التغيير أو التبديل ولا يقاس على كتابة المصحف غيرها.[٤٠] (٢) الكتابة الاصطلاحية هي الكتابة لها قوانينها وأصولها فهي علم ذو قواعد تتبع وتمنع من القواعد فى الخطأ.[٤١] (٣) الكتابة العروضيةوهي أن كل ما يُنطق به يُرسم، سواء أوافق ذلك القواعد الهجائية أم لا، وكل ما لا يُنطق به لا يُرسم وان اقتضت قواعد الهجاء كتابته. ويترتب على هذه القاعدة زيادة حروف لم تكن تكتب تبعا لقواعد الهجاء وحذف حروف اقتضت قواعد الهجاء كتابتها.[٤٢]

وعلى سبيل المثال: كتابة "بسم" فى "بسم الله الرحمن الرحيم". عرفنا أن "بسم" تتكون من حرف جر "ب" وكلمة "اسم" المبدوءة بهمزة الوصل. والقاعدة أن كتابة همزة الوصل الواقعة أثناء الكلمة تكتب ولا تنطق. وانظر فى كتابة "بسم الله الرحمن الرحيم" على أن همرة الوصل فيها لا تكتب. وهذا ما يسمى بالكتابة العثمانية. أما اذا اعتمدنا على الكتابة الإصطلاحية فكانت

---

[٣٩] عمر فاروق الطباع، *الوسيط فى قواعد الإملاء والإنشاء*، (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٩٣)، ص. ١٣.

[٤٠] محمد سليمان ياقوت، *فن الكتابة الصحيحة*، (طنطا: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣)، ص. ٢٠-٢١.

[٤١] عمر فاروق الطباع، *الوسيط*، ص. ١٣.

[٤٢] محمد سليمان ياقوت، *فن الكتابة الصحيحة*، ص. ٢٤.

الكتابة الصحيحة فيها وجود الألف (همزة الوصل) أي نكتب ب"باسم"، لأن قاعدتها كما ذكر: همزة الوصل التى تقع أثناء الكلمة تكتب ولاتنطق. أما باعتبار الكتابة العروضية، فعلينا أن نهتم بما ينطق.

أما من جهة فنونها، كانت الكتابة العربية تنقسم إلى أقسام كثيرة. منها: النسخ والثلث،كلاهما من وضع الوزير ابن مقلة، والرقعة للاستاذ ممتاز بك المستشار فى عهد السلطان عبد المجيد خان، والديواني لابراهيم منيف، والفارسي وهلم جرا.[٤٣] ومن جهة تأليفها وإنشائها تنقسم إلى قسمين هما: النثر والشعر ولكل منهما منهج وطريقة خاصة فى الكتابة والتحليل.[٤٤]

٢. دور الكتابة العربية فى الحضارة الإسلامية

لا شك أن الكتابة العربية، لها دور مهم فى الحضارة الإسلامية، لأنها تخدم فى نشر الكتاب والسنة، وبها انتشار العلوم الدينية، وعليها معرفة وفهم النصوص الشرعية. فكيف نعرف نصوصها إلا بها. لذلك، حظت الكتابة العربية بمنزلة عظيمة فى الإسلام كما سنبحث فيما يلي:

أ) منزلة الكتابة العربية فى الإسلام

قال أحمد بن على بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (م. ٨٢١ هـ.)—كما نقله محمد دحروج أيضا فى كتابه—،

"أعظم شاهد لجليل قدرها وأقوى دليل على رفعة شأنها أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه واعتده من وافر كرمه وإفضاله، فقال عز اسمه: (اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم) مع ما يروى أن هذه الآية والتي قبلها مفتتح الوحي وأول التنزيل على أشرف نبي وأكرم مرسل وفي ذلك من الاهتمام بشأنها ورفعة محلها ما لا خفاء فيه. ثم بين شرفها بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال جلت قدرته (وإن عليكم لحافظين. كراما

[٤٣] محمد طاهر بن عبد القادر، *تاريخ الخط*، ص. ١٠٠-١٠٤.

[٤٤] محمد دحروج، *الموجز فى اللغة العربية*، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢)، ص. ٨.

كاتبين) ولا أعلى رتبة وأبذخ شرفا مما وصف الله تعالى به ملائكته ونعت به حفظته ثم زاد ذلك تأكيدا ووفر محله إجلالا وتعظيما بأن أقسم بالقلم الذي هو آلة الكتابة وما يسطر به فقال تقدست عظمته: (ن. والقلم وما يسطرون. ما أنت بنعمة ربك بمجنون). والإقسام لا يقع منه سبحانه إلا بشريف ما أبدع وكريم ما اخترع كالشمس والقمر والنجوم ونحوها إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرفها ورفعة قدرها."[٤٥]

وعلى أثر هذه المنزلة العظيمة، رُوي—سوى الحديث المذكور—أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قيدوا العلم بالكتابة". هذا الحديث يدل على أن الكتابة—عربية كانت أم لا— أمر مهم لها أثر عظيم فى حياة الإنسان، حيث أنها قادرة على محافظة العلوم الشرعية وتقيدها ثم نشرها إلى أي بلد كان. وهي—كما قال محمد سليمان ياقوت—التى تعد أول ثورة حقيقة فى تاريخ البشرية، وهي الوسيلة الأولى والأساسية فى حفظ المعارف والتراث الإنساني من الفقدان والضياع.[٤٦]

وقال أهل العلم والمعرفة تأكيدا على رفعة شأنها، منهم قول الجاحظ: "ولو لم يكن من فضل الكتابة إلا أنه لا يسجل نبي سجلا ولا خليفة مرضي ولا يقرأ كتاب على منبر من منابر الدنيا إلا إذا استفتح بذكر الله تعالى وذكر رسوله وذكر الخليفة ثم يذكر الكتاب—كما هو مشهور فى السجلات التى سجلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران وغيرهم، وأكثرها بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فى شرفه ونبله وسابقته ونجدته."[٤٧]

وقال الشاعر بيانا عن منزلتها العظيمة:[٤٨]

---

[٤٥] القلقشندي، *صبح الأعشى*، ج. ١، ص. ٦٣-٦٤./ محمد دحروج، *الموجز*، ص. ١٤-١٥.

[٤٦] محمد سليمان ياقوت، *فن الكتابة الصحيحة*، ص. ٢٦.

[٤٧] محمد دحروج، *الموجز*، ص. ١٦.

[٤٨] نفس المرجع، ص. ٢٧.

"إن افتخر الأبطال يوما بسيفهم *** وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزا ورفعة *** مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم"

ب) دوافع الكتابة العربية عند المسلمين

إن دوافع الكتابة العربية عند المسلمين متنوعة، لأن كل كاتب له أسباب فى التأليف والإنشاء والبحث. وقد ذكر محمد خير رمضان يوسف فى كتابه، "دوافع البحث والتأليف عند المسلمين" أنواعا من دوافع الكتابة العربية عندهم. منها: قيد العلم لعدم النسيان أو الضياع. قال أن حب السلف للعلم شيئ يفوق الوصف وحكاياتهم ومآثرهم فى هذا ملأت الكتب والآفاق حتى اعترف به القريب والبعيد. وقد تفننوا فى أساليب الحفظ والتعلم والتعليم بما يملأ النفوس غبطة وفخرا ويبعث على الحب والتعظيم والاقتداء. وكان قيد العلم شيئا مألوفا لدى علماء هذه الأمة مهما كان شأنه، حتى قال البلوي فى كتابه "ألف باء"—كما نقله محمد خير رمضان يوسف—، ما رأيت أحدا ممن لقيته من أهل الآفاق إلا وله تعاليق وأوراق تحتوي على حكايات وأشعار ورسائل وأخبار.[٤٩]

ومنها: نشر العلم والخوف من آثار كتمه. قال أنه وردت آثار ونصوص جليلة فى فضيلة العلم وثواب نشره والوعيد الشديد لمن كتمه. من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من كتم علما عن أهله ألجم يوم القيامة لجاما من نار."[٥٠] ومنها: إحياء علم أو فضيلة وهو—كما قال—ما يتصدى له أعلام هذه الأمة: مفكروها ومصلحوها، عندما يرون آثار علم قد اندرس أو كاد، أو فضيلة توارت وهي فى المقدمات. والخير فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأعلامها حتى يوم القيامة فقد يبرز بينها عبد أراد الله به خيرا فيكشف عن علم ويشير إلى أهمية فضيلة أو غيور على سنة رسول الرحمن يرى

[٤٩] محمد خير رمضان يوسف، *دوافع البحث والتأليف عند المسلمين*، (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٥)، ص. ٥٩.

[٥٠] نفس المرجع، ص. ٦١.

احتضارها، فلا يزال يكتب فيها ويثير إيمان المسلمين ويشد هممهم حتى يحييها.[٥١]

ج. الخاتمة

مما سبق ذكره، يتوسع العلم ويتزود الاعتقاد أن الكتابة العربية لها حد عميق وتاريخ طويل فى الحياة الإنسانية ولها دور كبير فى الحضارة الإسلامية، حيث أنها تحافظ على التركتين الأساسيتين في الشريعة الإسلامية، ومن تمسك بهما لن يضل أبدا، وهما القرآن والسنة. وكذلك النصوص الشرعية التى تنتشر بها العلوم الدينية إلى أنحاء العالم.

لأجل ذلك، لا عجب إذا كان الوحي الأول المنزل على سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم يتحدث عن الكتابة، وهناك آيات أخرى تطلع على تمام بدرها. وعلى أثر ذلك، كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بها حيث أنه أمر بعض أصحابه، زيد بن ثابت أن يتعلم الكتابة وجعل فداء الأسرى الذين يعرفون الكتابة أن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء الصحابة الكتابة. وكذلك أقوال أهل العلم والمعرفة عما يتعلق بمنزلتها العظيمة فى الإسلام. وهذا كله يدل على أن الكتابة العربية لها أثر عظيم فى الحضارة الإسلامية.

[٥١] نفس المرجع، ص. ٦٣.

قائمة المصادر والمراجع

ابن جني، أبي الفتح عثمان.*الخصائص*، ج. ١، .بيروت: عالم الكتب، دون السنة.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. *مقدمة تاريخ ابن خلدون*، المكتبة الشاملة: موقع الوارق، دون السنة.

ابن عبد القادر، محمد طاهر. *تاريخ الخط العربي وآدابه*، مصر: المطبعة التجارية الحديثة، ١٩٣٩.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر.*تفسير القرآن الكريم*، المكتبة الشاملة: دار الفكر، ١٩٩٤.

حجازى، محمود فهمى. *علم اللغة العربية*، المكتبة الشاملة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دون السنة.

دحروج، محمد. *الموجز فى اللغة العربية*، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢.

درويش، محمد حسن. *تاريخ الأدب العربي*، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٤.

الرافعي، مصطفى صادق. *تاريخ آداب العرب*، ج. ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠.

الزرقاني، محمد عبد العظيم. *مناهل العرفان فى علوم القرآن*، ج. ١.، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦.

سيديو، لويس. *خلاصة تاريخ العرب*، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي، ٢٠١٧.

طاهر، محمد عبد الرحمن وزكريا عبد المجيد. *الأدب فى عصري صدر الإسلام وبني أمية*، مقرر جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٥.

الطباع، عمر فاروق. *الوسيط فى قواعد الإملاء والإنشاء*، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٩٣.

عبد الغني، أيمن أمين. *الصرف الكافي*، القاهرة: دار التوفيقية للتراث، ٢٠١٠.

القلقشندي، أحمد بن علي. *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، دمسق: دار الفكر ، ١٩٨٧.

لاشين،كمال عبد الباقي وحسن عبد السلام. *دراسات فى الأدب الجاهلي*، مقرر جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٥.

محمد، عبد المنعم عبد الله. *فصول فى علم اللغة*، القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ٢٠٠٧.

ياقوت، محمد سليمان. *فن الكتابة الصحيحة*، طنطا: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣.

يوسف، محمد خير رمضان. *دوافع البحث والتأليف عند المسلمين*، بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٥.

Safriandi A. Rosmanuddin, *Sejarah Singkat Asal Mula Tulisan*, (http://portalsatu.com/read/budaya/sejarah-singkat-asal-mula-tulisan-9341), diaksespada: 04-01-2019.

Ridlo, Ubaid. Bahasa Arab dalam Pusaran Arus Globalisasi, 2 *"Ihaya al-'rabiyah",* Juli-Desember 2015.